



تقدير موقف

معركة الهلال النفطي في ليبيا: صراع النفوذ ومسارات التشظي

وحدة الدراسات السياسية | يوليو 2018

معركة الهلال النفطي في ليبيا: صراع النفوذ ومسارات التشظي

سلسلة: تقدير موقف

وحدة الدراسات السياسية | يوليو 2018

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2018

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

المبنى رقم 196

شارع الطرفة (800)

منطقة 70، وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعائن، قطر

هاتف: +974 44199777

www.dohainstitute.org

المحتويات

1	مقدمة
1	الهلال النفطي: المشهد المتحرك
3	الأدوار الإقليمية
4	شبح التقسيم
5	مواقف إقليمية ودولية غير متجانسة
7	خاتمة

مقدمة

أصدر اللواء المتقاعد خليفة حفتر، في 25 حزيران/ يونيو 2018، قرارًا يقضي بنقل تبعية المنشآت النفطية إلى المؤسسة الوطنية للنفط التابعة للحكومة الليبية المؤقتة التي تتخذ مدينة البيضاء، شرق ليبيا، مقرًا لها. وتعد المؤسسة الوطنية للنفط التابعة للحكومة المؤقتة مؤسسة موازية للمؤسسة الأصلية في طرابلس، التابعة لحكومة الوفاق الوطني المعترف بها دوليًا، وهي من المؤسسات التي ظهرت، خلال السنوات الأخيرة جراء التشطي السياسي والمؤسستي الذي تشهده ليبيا، مثل إنشاء مؤسسة موازية لمصرف ليبيا المركزي. ويأتي قرار حفتر بعد تمكن قواته من استعادة السيطرة على منطقة الهلال النفطي بعد أن استحوذ جهاز حرس المنشآت النفطية ومسلحون من قبيلة المغاربة بقيادة إبراهيم الجضران، على ميناءي السدرة وراس لانوف.

الهلال النفطي: المشهد المتحرك

تمتد منطقة الهلال النفطي من ميناء الزويتينة شمال شرق مدينة اجدابيا، مرورًا بالبريقة وراس لانوف، وصولًا إلى ميناء السدرة على الطريق الساحلي المؤدي إلى مدن سرت والمنطقتين الوسطى والغربية من ليبيا. وتتمثل المنشآت النفطية في منطقة الهلال النفطي، أساسًا، في الخزانات والموانئ التي تصدر عبرها شحنات النفط والغاز إلى الخارج، إضافة إلى عدد من منشآت التحويل والتكرير. وتعد حقول السرير والنافورة ومسلة والبيضاء وماجد، الواقعة على مسافة تراوح بين 300 و500 كم جنوب بنغازي، المزود الرئيس لمنشآت الهلال النفطي بكميات النفط الخام¹، التي تقارب نصف إنتاج ليبيا.

ظلت منطقة الهلال النفطي، خصوصًا البريقة وراس لانوف، مسرحًا لعمليات كرف وفر، على امتداد أشهر، خلال ثورة فبراير 2011، بين قوات الثوار وكتائب القذافي. وشهدت المنطقة، طيلة سنة 2012 والنصف الأول

¹ انظر: موقع شركة الخليج العربي للنفط، شوهد في 2018/7/9، في: www.agoco.ly

من سنة 2013، استقرًا نسبيًا سمح بعودة تصدير النفط إلى معدلاته السابقة، غير أن هذا الاستقرار لم يدم طويلًا، فقد قاد إبراهيم الجضران، المنحدر من قبيلة المغاربة، في تموز/ يوليو 2013، مسلحين من "حرس المنشآت النفطية - فرع الوسطى" واستولى على أهم المنشآت النفطية في المنطقة ومنع التصدير منها، أكثر من عامين، بغطاء سياسي وإعلامي من الصف الذي ساند، فيما بعد، عملية الكرامة. وفي كانون الأول/ ديسمبر 2014 أطلقت قوات "فجر ليبيا"، المكونة من كتائب موالية للمؤتمر الوطني العام، عملية "الشروق" بهدف "تحرير الموانئ النفطية وتسليمها إلى السلطات المختصة بالدولة الليبية"²، غير أن العملية توقفت، فيما بعد، من دون تحقيق أهدافها المعلنة.

وفي كانون الثاني/ يناير 2016 شنّ مسلحو تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) هجومًا على الهلال النفطي، انطلاقًا من معقلهم السابق في سرت. واستهدف الهجوم، أساسًا، ميناءي السدرة وراس لانوف، حيث أصيبت بعض الخزانات بأضرار وقتل عدد من منتسبي جهاز حرس المنشآت النفطية، غير أن التنظيم فشل في الحفاظ على المواقع التي سيطر عليها، واضطر إلى التراجع سريعًا. وفي أيلول/ سبتمبر 2016 أطلقت القوات التابعة للواء المتقاعد خليفة حفتر عملية "البرق الخاطف"، وسيطرت على جميع منشآت الهلال النفطي، من دون عمليات قتالية تذكر، بعد تفاهات مع شيوخ قبيلة "المغاربة" التي ينحدر منها أمر حرس المنشآت النفطية إبراهيم الجضران.

لم تدم سيطرة قوات حفتر على المنطقة سوى أشهر قليلة، حيث كان الهلال النفطي، في آذار/ مارس 2017، مسرحًا لهجوم شنه مقاتلو "سرايا الدفاع عن بنغازي"، المشكّلة، في معظمها، من أبناء بنغازي الذين هجرتهم قوات حفتر. وتمكّن مقاتلو السرايا، في هذا الهجوم، من السيطرة على النوفلية وبن جواد وميناءي السدرة وراس لانوف، في وقت وجيز، معلنين أن هدفهم العودة إلى مدينتهم، داعين حكومة الوفاق الوطني إلى استلام المنشآت النفطية³. وبعد أكثر من أسبوعين من سيطرة السرايا، تمكنت قوات حفتر، بغطاء جوي كثيف، من استرجاع ما خسرت. وبعد ما يقارب العامين من اختفاء أمر حرس المنشآت النفطية إبراهيم الجضران، وتحديدًا

² هشام عبد الحميد، "عملية 'الشروق' في ليبيا: هدفنا تحرير الموانئ النفطية"، العربي الجديد، 2014/12/16، شوهد في 2018/7/9، في: <https://bit.ly/2NxXNK6>

³ "نون بوست" يحاور قائد 'سرايا الدفاع عن بنغازي' العميد الشركسي"، نون بوست، 2017/4/1، شوهد في 2018/7/9، في: <https://bit.ly/2u51pLG>

في 14 حزيران/ يونيو 2018، عاود الرجل الظهور، من خلال بيان بثّه على شبكات التواصل الاجتماعي، معلناً إطلاق هجوم جديد لطرد قوات حفتر من الهلال النفطي⁴.

الأدوار الإقليمية

سيطرت القوات التي يقودها الجضران على ميناءي السدرة وراس لانوف، خلال ساعات معدودة، وأسرت العشرات من قوات حفتر ومن الأجانب الذين تم تقديمهم على أنهم من منتسبي حركة العدل والمساواة السودانية. ولقيت العملية العسكرية، أول مرة، دعم مشايخ من قبيلة المغاربة التي يقطن أغلب منتسبيها منطقة الهلال النفطي ومدينة اجدابيا وجوارها. لكن سيطرة جهاز حرس المنشآت النفطية على الميناءين لم تدم سوى أسبوع واحد، فقد أجبره القصف الجوي العنيف للطيران الإماراتي الذي يتخذ قواعد بنينا والخادم والجفرة الجوية منطلقاً لعملياته العسكرية، على الانسحاب لتسيطر قوات حفتر على المنطقة من جديد⁵.

لم يعد الدور الإماراتي في ليبيا خفياً، بعد أن تحوّل من طور الدعم اللوجستي والسياسي إلى مرحلة التدخل العسكري المباشر إلى جانب القوات التابعة لحفتر. وأثبتت أغلب الوقائع العسكرية التي شهدتها مدينة بنغازي ودرنة والجفرة والهلال النفطي أن قوات حفتر عاجزة عن الحفاظ على أي مكاسب على الأرض من دون غطاء جوي إماراتي، وهو ما ظهر، جلياً، في الهجوم الذي شنته سرايا الدفاع عن بنغازي في آذار/ مارس 2017 وفي الهجوم الذي نفذته حرس المنشآت النفطية بقيادة الجضران، كما ظهر في انقلاب الموازين لصالح قوات حفتر حال تدخل الطيران الإماراتي.

ما يقال عن التدخل الإماراتي، يقال أيضاً، عن التدخل المصري الحاضر في مجريات الصراع الليبي. وتعد مصر من أكثر الأطراف الإقليمية حرصاً على بقاء المنشآت النفطية في أيدي قوات حفتر، خاصة أن الرجل

⁴ إبراهيم الجضران، صفحة "المكتب الاعلامي لجهاز حرس المنشآت النفطية - فرع الوسطى" على شبكة فيسبوك، 2018/6/14، شوهد في: 2018/7/9، في: <http://bit.ly/2J43sUU>

⁵ "الحيش الليبي يسيطر على ميناءي السدرة وراس لانوف"، جريدة الشرق الأوسط، 2018/6/22، شوهد في 2018/7/8، في: <http://bit.ly/2KS004x>

أعلن، في أكثر من مناسبة، التزامه بالحفاظ على مصالح مصر حتى لو تعارضت مع مصالح ليبيا. وتزيد حالة الفلتان والغموض التي تلف تفاصيل تصدير شحنات النفط الليبي منذ 2013، فرص استفادة القاهرة التي تعيش أزمة اقتصادية خانقة وشحاً في الطاقة، من وقوع منطقة الهلال النفطي خارج سيطرة السلطات الليبية المعترف بها دولياً. وعندما سيطرت قوات حفتر على موانئ الهلال النفطي، صدرت تقارير وتصريحات عن شحنات مجانية من النفط تصل مصر تبعاً⁶. ويعد إقليم برقة، والهلال النفطي المتاخم له، مجالاً حيويًا تحرص السلطات المصرية على بقائه تحت سيطرة حلفائها المحليين المساندين لعملية "الكرامة". وقد حرصت القاهرة على الاحتفاء بالعديد من شيوخ القبائل التي تشكل النسيج الاجتماعي للهلال النفطي وما جاوره، مثل شيوخ قبيلة "المغاربة".

شبح التقسيم

بإصدار حفتر قرار نقل تبعية منشآت الهلال النفطي من المؤسسة الوطنية للنفط التابعة لحكومة الوفاق الوطني المعترف بها دولياً إلى المؤسسة الوطنية للنفط (الموازية) التابعة للحكومة الليبية المؤقتة التي تتخذ مدينة البيضاء مقراً لها وتدين بالولاء لحفتر، تمت إضافة شرح مؤسستي جديد إلى الشروح التي أصابت الكثير من الأجسام السياسية والمؤسسية في ليبيا. ومنذ إطلاق اللواء المتقاعد خليفة حفتر عملية "الكرامة" في أيار/ مايو 2014، وانتقال مجلس النواب إلى طبرق (في إقليم برقة) بدأ التنشيط السياسي والعسكري، وحتى الاجتماعي، يتمأسس. فقد تم تشكيل الحكومة الليبية المؤقتة برئاسة عبد الله الثني، في مدينة البيضاء، لتكون حكومة موازية لحكومة الإنقاذ الوطني ثم لحكومة الوفاق الوطني في طرابلس، كما تم بعث مصرف ليبيا المركزي في البيضاء موازياً للمصرف المركزي في طرابلس، ثم المؤسسة الوطنية للنفط في بنغازي.

أما بالنسبة إلى الملف الأمني والعسكري، فقد أعلن حفتر إنشاء مؤسسة عسكرية تسمى "القوات المسلحة العربية الليبية"، مشكّلة من الكتائب المسلحة و"الصحات القبلية" التي تدين بالولاء له في إقليم برقة ومنطقتي الزنتان

⁶ اللواء عبد الرزاق الناظوري رئيس الأركان الليبي: 'السراج' سيشكل حكومة جديدة 'لما يشوف حلما ودنه' (حوار)، المصري اليوم، 2016/10/13، شوهد في 2018/7/8، في: <http://bit.ly/2NwcCwV>

وورشفانة في الغرب، ونصّب نفسه قائداً عاماً لها، قبل أن يباركه رئيس مجلس النواب عقيلة صالح وعدد من النواب، معظمهم من مدن برقة.

يأتي قرار حفتر إحقاق تبعية منشآت الهلال النفطي بالمؤسسة الوطنية للنفط، الخاضعة لسلطته، في سياق تشطي المشهد الليبي الذي انطلق منذ أربع سنوات، لكنه يكتسب خطورته وخصوصيته من نواحٍ عدة. فالنفط يعد المورد الرئيس، ويكاد يكون الوحيد، لاقتصاد الدولة ولمعيشة الليبيين، ومن الطبيعي أن تكون محاولات الانفراد به سبباً لصراعات داخلية، وحتى إقليمية، تصبح فيها الخطوط الحمراء متجاوزة، بما في ذلك تقسيم البلاد. وكما كان متوقعاً، سارعت الأطراف السياسية المنادية بالفيدرالية إلى مباركة الخطوة والإشادة بها⁷. ورغم أن الفيدرالية، في الأصل، لا تعني التقسيم، فطرحها في المشهد الليبي اليوم، المتخّم بالصراع وعوامل التفكك، سيؤدي، فعلياً، إلى التقسيم.

تمتد منطقة الهلال النفطي، غرباً، إلى ما بعد ميناء السدرة في اتجاه بن جواد والوادي الأحمر. ويمثل هذا الامتداد عامل نزاع بين المنادين بالفيدرالية والمنادين بالوحدة، منذ سنوات. فحدود إقليم برقة، بحسب التقسيم الإداري القائم على دستور 1951، تقف عند غرب اجدابيا، ولا تضم في نطاقها من منشآت الهلال النفطي سوى البريقة، غير أن المنادين بالفيدرالية، في السنوات الأخيرة، يعتبرون الوادي الأحمر فاصلاً بين المنطقة الشرقية (إقليم برقة) والمنطقتين الوسطى والغربية (إقليم طرابلس)، ما يعني أن جميع منشآت الهلال النفطي تقع ضمن الحدود الترابية لإقليم برقة. وتسيطر القوات التابعة لحفتر، حالياً، على كامل هذه المنطقة تقريباً. ورغم تهديداتها المتكررة بالتقدم غرباً في اتجاه المنطقتين الوسطى والغربية، فهي لم تترجم، حتى الآن، إلى إجراءات عسكرية على الأرض.

مواقف إقليمية ودولية غير متجانسة

يصعب الحديث عن موقف إقليمي ودولي متجانس وواضح المعالم من الصراع الدائر في ليبيا. ففي حين تقف مصر، بقوة، مع حفتر وحاضنته السياسية والقبلية، تلتزم تونس قدرًا من الحياد، بينما يظل الموقف الجزائري

⁷ "التكتل الفدرالي برقة: قرار حفتر مكسب تاريخي والمظالم التاريخية والاقصاء لم يترك لنا خيار آخر"، وكالة الجماهيرية للأنباء، 2018/6/28، شوهد في 2018/7/9، في: <http://bit.ly/2zn8dJE>

موسمًا بالتحفظ يرافقه عمل محدود لمنع تمدد النفوذ المصري والإماراتي إلى المنطقة الغربية. أما مواقف القوى الدولية الغربية، رغم البيانات المشتركة التي تصدرها في كل مناسبة، فتتوزع بين الدعم العسكري والسياسي الفرنسي، المعلن والضمني، لحفتر، والحرص الإيطالي على الحفاظ على علاقات بمختلف الأطراف، وفتور الحماس الأميركي والبريطاني للانغماس في تفاصيل المشهد الليبي.

ربما يؤدي انفراد طرف ليبيا واحد بالسيطرة على هذا المورد الاقتصادي الحيوي إلى تبعات تشمل اقتصاديات الدول المستوردة والمستثمرة فيه. ورغم ضعف حصة ليبيا ضمن دول "أوبك"، (نحو مليون برميل يوميًا) والتذبذب الذي شهدته، في السنوات الأخيرة، واستبعاد إمكانية ارتفاع أسعار النفط جراء قرار حفتر، خاصة بعد الوعد السعودي للرئيس ترامب بضخ كميات كبيرة في السوق العالمية، تتصاعد ردات الأفعال التي قابلت القرار شيئًا فشيئًا. فقد أصدر ممثلو كل من الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا (الداعمة عمليًا لحفتر) وإيطاليا، بيانًا، حذروا فيه من تصدير النفط الليبي بطرق غير شرعية، ودعوا إلى أن "تظل هذه الموارد الليبية الحيوية تحت السيطرة الحصرية لشركة النفط الوطنية الشرعية"⁸، وهو ما ورد، أيضًا، في بيان الأمين العام للأمم المتحدة الذي دعا إلى "التهدة وإعادة جميع الموارد الطبيعية وإنتاجها وعائداتها إلى سيطرة السلطات الليبية المعترف بها"⁹.

وفي إطار تداعيات قرار حفتر، هددت وزيرة الدفاع الإيطالية بشن عملية عسكرية لحماية الآبار التي تستثمرها مؤسسة "إيني" والعاملين فيها، غير أنها تحاشت الإشارة إلى حفتر، مؤكدة أن العملية، في حال حدوثها، ستكون "حربًا على الإرهاب"¹⁰.

والحقيقة أن الدول الغربية التي ضغطت على طرابلس لقبول حكومة الوفاق، لم تفعل شيئًا ضد القوى التي تسعى لتقويضها، وعلى رأسها حفتر، وبعضها يدعمه عمليًا.

⁸ "Joint Statement on Libyan Oil Facilities," Media Note Office of the Spokesperson Washington, US Department of State, June 27, 2018, accessed on 9/7/2018, at: <http://bit.ly/2J3IDdn>

⁹ "Statement attributable to the Spokesman for the Secretary-General on the situation in Libya," United Nations Support Mission in Libya, June 27, 2018, accessed on 9/7/2018, at: <http://bit.ly/2ui4Z4j>

¹⁰ "Italian Defence Minister pledges continuation of joint military cooperation with Libya," The Libya Observer, July 07, 2018, accessed on 9/7/2018, at: <http://bit.ly/2zwmZcv>

خاتمة

يضيف قرار حفتر إحاق تبعية منشآت الهلال النفطي بمؤسسة النفط الخاضعة لسلطته عامل تعقيد جديدًا إلى المشهد الليبي، كما يوسع حالة التشطي السياسي والمؤسسي، وترقى خطورته إلى درجة تمهيد الطريق لفرض التقسيم أمرًا واقعيًا. ورغم أهمية القرار، ما زال الموقفان الإقليمي والدولي موسومين بالغموض والتردد وتجنب الحسم، من دون مؤشرات واضحة على حدوث تحولات جذرية، في المستقبل المنظور، من شأنها كبح جماح اللواء المتقاعد، المدعوم إقليميًا، ليستحوذ على مزيد من الأوراق ويرسخ سلطاته.